ولم يعرف العرب التأليف المعجمي قبل العصر العباسي لأسباب عدة أهمها:

أ- انتشار الأمية بينهم، فالذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة قبل الإسلام قليلون.

ب- طبيعة حياتهم الاجتماعية القائمة على الغزو والانتقال من مكان إلى آخر.

ج- اتقانهم للغتهم، فقد كانت العربية عندهم لسان المحادثة والخطابة والشعر، وكان إذا احتاج أحد إلى تفهّم معنى لفظ استغلق عليه، لجأ إلى مشافهة العرب، أو إلى الشعر. يقول ابن عباس (٦١٩ - ٦٨٧): «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه»[٣] وقال: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب»[٤].

لهذه الأسباب، تأخر العرب في وضع المعاجم بالنسبة للشعوب

---

(٣) تفسير الطبري ج ١٧ ص ١٢٩. وقد أخذناه عن أحمد عبد الغفور عطار: مقدمة الصحاح ص ٢٨.

(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. بيروت. دار الكتب سنة ١٩٣٥ ج ١ ص٢٤.

القديمة التي أسّست حضارات قبلهم، إذ سبقهم الأشوريون والصينيون واليونانيون والرومانيون في هذا المضمار[٥].

لكن، إن كان العرب، لم يعرفوا المعاجم قبل العصر العباسي، فلا شك في أن الفكرة المعجمية كانت قد بدأت تراودهم منذ أن بدأوا يشرحون القرآن، إذ يروى أن عمر بن الخطاب (٥٨٤ - ٦٤٤ م) كان يخطب مرة، فخفي عليه معنى «الأبّ» في قوله تعالى «وفاكهة وأبّا»، فسأل عنها، كما استفسر ابن عباس (٦١٩ - ٦٨٧ م) عن معنى «فاطر» في قوله تعالى «الحمد لله فاطر السموات والأرض»[٦].

---

(٥) عرف الأشوريون المعاجم المزدوجة قبل أكثر من ستة قرون من الميلاد، ووضع هوشن Hü-Shin الصيني سنة ١٥٠ ق.م. معجماً سماه شوفان Shou-wan كما ألف كوي وانج Kuye wang معجماً سماه «يوبيان» yu pien وقد طبع سنة ٥٣٠ م. ووضع اليونانيون معاجم عدة قبل العرب منها معجم يوليوس بولكس Yulius Polux ومعجم هلاديوس Helladius السكندري ومن المعاجم القديمة أيضاً معجم فاليريوس فلاكوس Valerius flaccus الذي وضعه في عهد الامبراطور أغسطس ومعجم هيزيشيوس الاسكندراني Hesychius ... الخ.

انظر يوسف العش: «أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المروي عن الخليل بن أحمد». مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ج ١١ (تشرين الثاني، كانون الأول سنة ١٩٤١) ص ٥١٢. وانظر مادة «Dictionary» في دائرة المعارف البريطانية. ط ٩. نيويورك ج ٧ ص ١٧٩ - ١٩٣.

(٦) انظر أحمد عبد الغفور عطار: مقدمة الصحاح ص ٤٣.

نهجه أو تخالفه في بعضه، ولعل أهمها المعاجم التالية:[١٦] « الحروف »[١٧] لأبي عمرو الشيباني (٧١٣ - ٨٢١ م) و « الغريب المصنَّف » لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٧٧٤ - ٨٣٨ م) و « الألفاظ » لابن السكيت (٨٠٢ - ٨٥٨) و « الجيم » لأبي عمرو إسحق بن مراد الشيباني (٧١٣ - ٨٢١ م) و « المنجد » لكُراع النمل (؟ - ٩٢١ م) و « الجمهرة » لابن دريد (٨٣٨ - ٩٣٣) و « ديوان الأدب » للفارابي (؟ - ٩٦١ م) و « البارع » للقالي (٩٠١ - ٩٦٧ م). و « تهذيب اللغة » للأزهري (٨٩٥ - ٩٨١ م)، و « مختصر العين » للزُبيدي (٩٢٨ - ٩٨٩ م). و « المحيط » للصاحب بن عباد (٩٣٨ - ٩٩٥ م) و « الصحاح » للجوهري (؟ - ١٠٠٣ م) و « مقاييس اللغة » و « المجمل » لابن فارس (٩٤١ - ١٠٠٤ م) و « المحكم » و « المخصّص » لابن سيده (١٠٠٧ - ١٠٦٦ م) و « أساس البلاغة » للزمخشري (١٠٧٥ - ١١٤٤ م)، و « العباب » للصاغاني (١١٨١ - ١٢٥٢ م) و « مختار الصحاح » للرازي (؟ - ١٢٦٨ م) و « لسان العرب » لابن منظور (١٢٣٢ - ١٣١١ م) و « المصباح المنير » للفيومي (؟ - ١٣٦٨) و « القاموس المحيط » للفيروزبادي (١٣٤٩ - ١٤١٥) و « تاج العروس » للزبيدي (١٧٣٢ - ١٧٩٠ م) و « محيط المحيط »

---

(١٦) وقد رتبناها ترتيباً زمنيا.

(١٧) ويسمى أيضاً كتاب « الجيم » و « كتاب اللغات ». انظر أحمد عبد الغفور عطار: مقدمة الصحاح ص ٧٤.

و « قطر المحيط » لبطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣ م) و « أقرب الموارد في الفصيح والشوارد » لسعيد الشرتوني (١٨٤٩ - ١٩١٢ م) و « المنجد » للأب لويس المعلوف (١٨٦٧ - ١٩٤٦ م) و « البستان » و « فاكهة البستان » لعبد الله البستاني (١٨٥٤ - ١٩٣٠) و « متن اللغة » لأحمد رضا (١٨٧٢ - ١٩٥٣) و « المعجم الوسيط » و « المعجم الكبير » لمجمع اللغة العربية في القاهرة، و « المعجم » و « المرجع »[١٨] لعبد الله العلايلي (١٩١٤ -) و « الرائد » لجبران مسعود (١٩٣٠ -) و « لاروس » لخليل الجر.

وليست غايتنا من هذا الكتاب دراسة هذه المعاجم جميعاً، التي تتطلب أكثر من مجلد واحد، ولا دراسة كل المدارس المعجمية التي شكّلتها، بل سنكتفي بتتبع مراحل تطور المعجم العربي. وقد وجدنا أن هذا المعجم مرَّ في أربع مراحل[١٩] هي:

١ - مرحلة النظام الصوتي ونظام التقليبات الخليليّين.

٢ - مرحلة النظام الألفبائي الخاص.

٣ - مرحلة نظام القافية.

٤ - مرحلة النظام الألفبائي العادي.

(١٨) إن معاجم « المعجم الكبير » و « المعجم » و « المرجع » لم تستكمل حتى الآن.

(١٩) إن هذه المراحل لم تتميَّز زمانيًا، بمعنى أن بعض المعاجم المنتمية إلى مرحلة من هذه المراحل، قد تكون موضوعة قبل معاجم أخرى تنتمي إلى مرحلة سابقة.

الأصبهانى ، وشهاب الدين أبى عبدالله محمد بن يوسف القونوى ، عن أبى العباس أحمد ابن إبراهيم بن أحمد الخطاب ، عن إسماعيل بن عمرو المصرى السابق ذكره . وهى تختلف عن السابقة فى تهذيبها . ولم أستطع العثور على المقدسى راويها الأخير ، أما السلفى فهو « حافظ الإسلام ، وأعلى أهل الأرض إسنادا فى الحديث والقراءات مع الدين والثقة والعلم ... توفى يوم الجمعة خامس عشر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمس مئة » كما يقول ابن الجزرى[1] فى طبقات القراء . ومن هنا قلت إن الكتاب هذب فى أثناء القرنين الخامس والسادس .

٢ وتعزى هذه الرسالة التى طبعتها « دار إحياء الكتب العربية » على هامش تفسير الجلالين ؛ إلى أبى القاسم بن سلام . ولكنها فى الحقيقة — ليست إلا نسخة مهذبة ومزيدة من الكتاب المنسوب إلى ابن عباس . فقد حاول مهذبها إصلاح الخلل فى ترتيبها . فرتب الآيات بحسب ورودها فى السور ما أمكنه ، ونقل الآيات التى فى غير مواضعها إلى سورها ، وحذف التكرار . وأضاف إلى ذلك زيادة الألفاظ القليلة . وحذف بعض ما فى رسالة ابن عباس . وخالفه فى تفسير بعض الألفاظ ، فى مواضع متفرقة متباعدة . وليس هو أبا عبيد القاسم بن سلام ، إذ لم تذكر له رسائل من هذا النوع ، كما لم يرد له ذكر فى رُواة الرسالة المذكورين فى أولها ، وليس فى رواة الرسالة المذكورين من يسمى أبا القاسم بن سلام ، ولم أستطع معرفته ، لأن كثيراً من المفسرين يكنون بأبى القاسم ، وليس منهم أبو القاسم بن سلام ، وإن أكثر السيوطى من النقل عنه فى الإتقان ، مكتفيا بذكر كنيته دون اسمه .

٣ ولا يذهب ابن عباس فيها إلى تعريب الألفاظ السريانية والقبطية وما إليها ، وإنما إلى أن العربية وافقت فيها ما فى هذه اللغات وضعا وارتجالا ، لا استعارة وأخذا . وهو مذهب يختلف قليلا عما رُوى عن ابن عباس ، من أنه يذهب إلى وجود المعرب فى القرآن . وربما أسيء فهم مذهبه وعرضه .

(١) ص ٤ .

٥ وتلقف المفسرون واللغويون هذا التصنيف من ابن عباس ، وأقاموا على منواله بعض دراساتهم . فألف فيه مقاتل بن سليمان « الأقسام واللغات » (فى الأرجح) ، وهشام بن محمد الكلبى (المتوفى ٢٠٤) والهيثم بن عدى (المتوفى بين عامى ٢٠٦ ، ٢٠٩ هـ) والفراء (٢٠٧ هـ) والأصمعى (٢١٣ هـ) وأبو زيد الأنصارى (٢١٥) وابن دريد (٣٢١) ، ولم يتمه ، ومحمد بن يحيى القطيعى ، وأحمد بن على البيهقى (٥٤٤ هـ) بعنوان « المحيط بلغات القرآن » . وقد تنكر على الأصمعى كتابه ، لما اشتهر عنه من توقيه الكلام فى الألفاظ القرآنية ، وخاصة أن أحدا غير ابن النديم ، لم يعز إليه مثل هذا الكتاب . ولم تصل إلينا هذه الكتب جميعا ، بل لم نعثر إلا على اقتباس واحد من كتاب الفراء منها[1] .

٦ ووصل إلينا من السيوطى (٩١١) كتابان يعالجان هذا النوع ، أحدهما مطبوع فى مطبعة الترقى بدمشق عام ١٣٤٨ هـ ، بعنوان « المتوكلى » ، والثانى مخطوط فى دار الكتب المصرية تحت عنوان « المهذب » ، ومنه ثلاث نسخ فيها ، بل أربع : احداها ليس عليها اسم السيوطى . كما عالجها أيضا فى النوعين ٣٧ ، ٣٨ من الفصل الرابع من كتاب الإتقان .

وألف « المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب » قريبا من عام ٨٧٨ هـ ، كما يذكر فى آخر النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤ مجاميع م وقصر بحثه فيه على الألفاظ العربية ، ورتبه على الألف باء ، ابتداء من أوائل الألفاظ إلى أواخرها ، ومعتبرا فى ذلك حروفها كلها ، أصلية كانت أو مزيدة . وتدل العبارة التى ختم بها الكتاب ، على أنه رمى فيه إلى الاستقصاء ، حتى اجتمع فيه من الألفاظ القرآنية المعربة ما لم يجتمع فى كتاب قبل هذا .

أما الكتاب الثانى المسمى « المتوكلى » فقد ألفه لأمير المؤمنين ... الإمام المتوكل على الله ، وقد عاصر السيوطى اثنين من خلفاء العباسيين بمصر لقبا بالمتوكل ،

(١) السيوطى : الإتقان ١/١٢٤ .

أولها أبو البرّ عبد العزيز المتوكل الثانى (تولى ٨٨٤ — ٩٠٣) والثانى المتوكل الثالث ابن المستمسك (تولى ٩٠٣ — ٩٢٢) . فالكتاب إذن مؤلف بعد عام ٨٨٤ هـ ، أى بعد المهذب . وهو مثله فى الحجم ، وفى الاقتصار على المعرب دون لمات القبائل ، وفى طريقة علاج الألفاظ ، والاختصار ، مع ميل قليل إلى البسط فى المهذب وفى نسبة الأقوال إلى أصحابها . ولكنهما يختلفان فى الترتيب ، فلم يلجأ المؤلف إلى الترتيب الألفبائى هنا ، وإنما رتب مواده بحسب اللغات . ففصل المعرب عن اللغة الواحدة ، عن المعرب عن لغة أخرى . وقدم المعرب من الحبشية ، ثم الفارسية ، ثم الرومية . . . وختم بالبربرية . ولم يرتب الألفاظ فى داخل هذه الأقسام ، وإنما أتى بها كيفما وردت على ذهنه .

أما النوعان المذكوران فى الإتقان فأولهما : « فيما وقع فيه [أى القرآن] بغير لغة الحجاز » وثانيهما : « فيما وقع فيه بغير لغة العرب » . وصدر النوع الأول ببعض الأقوال من الرواة المختلفين ، ثم لخص فيه كتاب أبى القاسم ، الذى رأينا أنه أخذ كتابه من ابن عباس . وكان مما راعاه للاختصار حذف ماجاء فيه بلغة قريش والحجاز ، تبعا لعنوان فصله ، وترتيب الكتاب على وفق اللغات لا السور ، ليغير العبارة بالاختصار . فقدم ما ورد بلغة كنانة ، ثم هذيل ، ثم حمير ، ثم جرهم . . . الخ .

وفى العصر الحديث ألف الشيخ حمزة فتح الله فى عام ١٩٠٢م « رسالة الكلمات غير العربية الواقعة فى القرآن الكريم » : استجابة لرغبة يعقوب باشا أرتين وكيل نظارة المعارف المصرية . واستمد مادتها من معرب الجواليقى ، ومهذب السيوطى ، وسار فيها على ترتيب المهذب ، كما يبين المؤلف فى مقدمته . ولكنه جعلها جداول ، تحتوى على خانات لاسم السورة فعددها ، فعدد الآية (يريد رقمها) ، فلفظ الآية ، فالكلمة المعربة ، فخانة أخيرة لمعناها ولغتها الأصلية . فهو كتاب مدرسى يراعى اليسر والسهولة والترتيب فى جداول ، ليتمكن التلاميذ من الفهم والحفظ .

وختم الشيخ حمزة فتح الله كتابه بتنبيه ، أشار فيه إلى اختلاف العلماء فى وقوع عرب فى القرآن .

وصفوة القول فى هذا الفن : أن أكثر كتبه لم تصل إلينا . فغاب عنا كثير من معالم تطوره . فإذا كان لنا أن نعتمد على ما بين أيدينا منه ، قلنا إنه سار فى ثلاث طرق فى الترتيب : على السور ، وهو أقدمها ؛ والترتيب على الألف باء ، والترتيب على اللغات الأصلية ، التى أخذت الألفاظ منها . وقد رأينا هاتين الطريقتين للمرة الأولى عند السيوطى . وكان الترتيب مضطربا عند ابن عباس ، فأصلحه مهذب كتابه . واعتبر الذين اتبعوا الترتيب الألف بائى حروف الألفاظ كلها ، أصلية ومزيدة . وكانت الكتب تميل إلى الاختصار دواما ، ولذلك لم تشترك مع بقية الفنون فى كثير من المظاهر التى عنها .

٢ — لغات القبائل

قال ابن فارس[1] : « اختلاف لغات العرب من وجوه : أحدها : الاختلاف فى الحركات[2] كقولنا نستعين ونستعين ، بفتح النون ، وكسرها . قال الفراء : هى مفتوحة فى لغة قريش وأسد ، وغيرهم يقولونها بكسر النون ، والوجه الآخر : الاختلاف فى الحركة والسكون ، مثل قولهم مَعْكم ومَعْكم . . . ووجه آخر وهو الاختلاف فى إبدال الحروف ، نحو أولئك وأولالك ، ومن ذلك الاختلاف فى الهمز والتليين ، نحو مستهزئون ومستهزون ؛ ومنه الاختلاف فى التقديم والتأخير ، نحو صاعقة وصاقعة ؛ ومنها الاختلاف فى الحذف والإثبات ، نحو استحييت واستحيت ؛ ومنها الاختلاف فى الحرف الصحيح يبدل حرفا معتلا ، نحو أيما زيد وأيما زيد ؛ ومنها الاختلاف فى التذكير والتأنيث ، فإن من العرب من يقول هذه البقر ، ومنهم من يقول هذا البقر ؛ ومنها الاختلاف فى الإدغام نحو يهدّون ويهدُّون ؛ ومنها الاختلاف فى صورة الجمع ، نحو أسرى وأسارى ؛ ومنها الاختلاف فى الزيادة نحو أطرّوا وأطروا . . . ومن الاختلاف اختلاف التضاد ، وذلك كقول جميع القائم : ثبّ أى قعد » .

(١) الصاحبى ١٩ .

وإذن فالكتب التي تتناول هذه الأمور، أو واحدا منها تندرج تحت كتب اللغات. وهي كتب الإبدال، والتذكير والتأنيث، والأبنية، إلى جانب كتب اللغات التي تعالج الألفاظ وقد تنبه على القبائل التي تتكلمها. وهي التي نوجه إليها عنايتنا في هذا البحث. ولقد لقي كثير من الأنواع الأخرى عناية كبيرة، فأمدت المعاجم بمواد كثيرة، ولكن لن نتناولها بالبحث، لتأخر ظهورها.

وقد تأخر هذا الصنف من الكتب الخاصة بالألفات القبلية عامة، دون تعلق بالقرآن، عن الصنف الأول. فأول من ينسب إليه كتاب منه هو يونس بن حبيب البصري المتوفى عام ١٧٢ هـ، ثم توالت بعده الكتب. وثاني من ينسب إليهم كتب في اللغات أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (المتوفى ٢٠٦ هـ) صاحب كتاب الجيم، المعتبر من هذا النوع من التأليف. وقد بقيت نسخة من هذا الكتاب الذي ضن به صاحبه على معاصريه، وهي محفوظة بمكتبة الأسكوريال بأسبانيا، وصورتها الإدارة الثقافية للجامعة العربية. ويقوم بتحقيقها مدير المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة.

كتاب الجيم

نستهل البحث في هذا الكتاب بعنوانه، فما معناه، وما سببه، إذ لم يصرح المؤلف بذلك فيه. أما كتاب العين فسمي باسمه، لأنه ابتدأ بهذا الحرف من حروف المعجم، على عادة قدمائنا في تسمية الكتب بأول موضوعاتها. وكان من المظنون أن يبدأ كتاب الجيم، بحرف الجيم، فيتضح بذلك العنوان. ولكنه لم يبدأ بذلك، وإنما بدأ بالألف. وقد أدى هذا الخلاف إلى وقوع بعض الدارسين في الخطأ[1].

وحاول الزبيدي تفسير هذا الاسم. فقال[2]: «وله [أي لأبي عمرو] كتاب الجيم، كأنه شبهه بالديباج الحسن». وقد أخذ هذا التفسير من كلام لأبي عمرو، في أن من معاني الجيم في لغة العرب الديباج. ولعل ذلك الحسن

(١) السيوطي: المزهر ١/٤٦.
(٢) تاج العروس، مادة جيم.

راجع إلى ترتيب الكتاب على وفق الحرف الأول من الكلمة، ولم يكن ذلك دائما عندهم. ويؤيد كلام الزبيدي أن للكتاب اسما آخر هو: «كتاب الحروف». قال القفطي[1]: «سمي بذلك لأنه مرتب على الحروف». وقد تكون الحروف بمعنى الألفاظ أو اللغات، ويكون معنى العنوان: «كتاب الألفاظ». يؤيد هذا التفسير عبارة في صدر باب الفاء من الكتاب نفسه، تقول: «وفيها حروف مكررة خمسة أو ستة» بمعنى: ألفاظ خمسة أو ستة، واللغة نفسها تجيز ذلك التفسير. ويقرب من هذا المعنى الاسم الثالث، الذي يسمى به الكتاب أيضا، كما يقول القفطي[2]: «وله من التصانيف، كتاب اللغات، وهو الجيم، ويعرف بكتاب الحروف». ومن الأقوال المشهورة في الحديث المعروف: «نزل القرآن على سبعة أحرف...» أنه صلى الله عليه وسلم يريد بها اللغات القبلية.

وليس في الكتاب مقدمة تهدينا إلى هدف المؤلف في كتابه، وتجعلنا على يقين من الأمور التي قصد إليها. ولكن هذه العناوين المتعددة، ودراسة الكتاب نفسه، تدل على أنه رمى إلى تدوين الألفاظ الغريبة من لغات القبائل. ومصداق ذلك قول اليمني[3]: «جمع فيه الحوشي، ولم يقصد المستعمل». ويتفق كل هذا مع طبيعة المؤلف، فقد «كان الغالب عليه النوادر، وحفظ الغريب، وأراجيز العرب، وله كتاب كبير في النوادر[4]». ويتفق أيضا مع عنايته بأشعار القبائل ولغاتها[5]، إذ أن هذا الغريب النادر، هو في حقيقة الأمر لغات أقرب إلى المحلية عند هذه القبائل، فيما إخال. ويتفق أخيرا مع ما اشتهر عن أهل الكوفة، من أخذهم اللغة والنحو، عن أعراب لم يأخذ عنهم أهل البصرة، لعدم وثوقهم بهم. فمن الطبيعي أن تكون لغات هؤلاء الأعراب غريبة على اللغويين والأدباء الذين كان جل اعتمادهم على معارف البصريين.

(١) أنباه الرواة ١/٢٢٢.
(٢) المصدر — أنباه الرواة ١/٢٢٠.
(٣) نفس المرجع ٢٢٦.
(٤) نفس المرجع ٢٢٨.
(٥) نفس المرجع ٢٢١.

فالمرء مهما بلغت معرفته باللغة ، يجد الكثير من الألفاظ أو التفسيرات التى لم تمر به من قبل ، ويجد كثيرا من المعانى ينفرد بها الشيبانى ، ولا تذكر فى الموسوعات المعجمية الأخرى ، كاللسان والتاج . فالمؤلف لا يعنى من اللفظ بمعانيه الشائعة المشتهرة ، بل الغريبة التى لا يعرفها أحد . وقد يُستنبط من هذا ، أن الكتاب ليس «الجيم» ، وإنما هو « النوادر » ، الذى نسبه إلى أبى عمرو الشيبانى من ترجم له . ولكن اختلاف اقتباسات السيوطى وعلى بن حمزة البصرى[1] من النوادر عما فيه ، واتفاق اقتباس الأول[2] منهما من الجيم ، مع ما فيه ، يدلان على أنه الجيم لا النوادر .

ومنهج الشيبانى فى الترتيب غاية فى البساطة ، فقد قسم الكتاب إلى أبواب ، بقدر كل واحد منها على حرف من حروف الهجاء . واتبع فى ترتيبها الطريقة المألوفة ، التى لا تزال نسير عليها اليوم ، غير أنه قدم الواو على الهاء . فالباب الأول للألف ، والثانى للباء ، والثالث للتاء . . . إلى آخر الحروف . ثم ملأ هذه الأبواب بالألفاظ المبدوءة بالحرف الخاص بكل باب ، دون مراعاة لأى حرف بعدها ، ولا اعتبار للصيغ التى تتعدد فى حروف أصول ، تُشتق وتتفرع منها ، ولا نظر لأى أمر من الأمور ، وإنما هى ألفاظ يرد بعضها وراء بعض ، وكل لفظة منفصلة عن تاليتها كل الانفصال . ولذلك لا تنقسم الأبواب إلى فصول أو مواد أو غير ذلك ، مما نعهده فى المعاجم الحقيقية . فالباحث عن لفظ ينظر أوله ، فإن كان باء مثلا ، فعليه أن يقرأ باب الباء كله ، عسى أن يعثر على ما يبحث عنه . ويشبه هذا ترتيب كتب النوادر ، وما ماثلها : كلمات غريبة منثورة ، فى غير نسق ولا نظام .

وأهم ما يلاحظ فى الكتاب عنايته باللغات المختلفة ، فأنت لا تقرأ صفحة من الصفحات إلا وجدت فيها أكثر من اسم منسوب إلى قبيلة أو موضع من مواضع شبه الجزيرة العربية ، وتنسب إلى هذه الأسماء ألفاظ معينة ، وتفسيرات خاصة ،

(١) للزمر ١/٢٦١ ، ٢/٢٢ ، ٥٠ و ١٤٢ ، ١٥٩ . والتنبيهات على أغاليط الرواة .
(٢) للزمر ١/٢٧٥ .

والمؤلف حين يورد واحدا منهم كالسعدى مثلا ، لا يريد شخصا بذاته فيما أظن ، وإنما يقصد أن هذا اللفظ بهذا المعنى بلغة بنى سعد . وقد وردت فى اللوحات الثمانى الأولى من الكتاب الألقاب التالية : الأكوعى ، السعدى ، الطائى ، العمانى ، العقوى ، الأشعرى ، الوالبى ، الكلابى ، الكلبى ، الزهيرى ، البكرى ، العذرى ، النميرى ، العنوى ، الثمالى ، الثمرى ، التغلبى ، السلمى ، ورجل من أبى بكر بن كلاب ، ورجل من بنى سعد ، وقال ذات مرة فيها : هذه لغة شامية . فالكتاب ذخيرة للغات القبائل المختلفة التى عنى الشيبانى بأشعارها عناية فائقة يسّرت له أن يدون أكثر من ثمانين ديوانا من دواوين أشعار القبائل . ويفوق كتاب الجيم ، من هذا الجانب جميع المعاجم التى بين أيدينا ، إذ أن إشاراتها إلى لغات القبائل قليلة متناثرة . ولعله بعد تحقيقه يعطينا من المواد ما يكفينا لدراسة لغات بعض القبائل دراسة مفصلة كاملة ، أو قريبة من ذلك .

ومن الظواهر البارزة فى الكتاب — وربما أتت عن طريق عنايته باللغات — إيراده الألفاظ التى يفسرها فى عبارات لغوية فى كثير من الأحيان ، بدلا من أن يأتى بها مجردة . وأربط بين هذا وبين عنايته باللغات والنوادر معا ، لأنه حين يأتى بها فى عبارتها يحيطها بجوها الذى يكمل تفسيرها ويقوى أركانه ، ويدعمها بالدليل والشاهد على صحتها . يضاف إلى ذلك أنه يعطينا طريقة استعمالها فى تلك اللهجة ، وكيفية تركيبها مع الألفاظ الأخرى ، كما سمعها هو من أهل قبيلتها . ويعنى بذلك ، لأنه ليس من التأليفات الشائعة على الألسنة العربية جميعها . وقد مال المؤلف إلى إيراد المترادفات من الألفاظ ، ومن العبارات أيضا .

ومن الظواهر التى غلبت عليه بسبب اتباعه كتب النوادر ، اضطراب الشرح . فيكتفى فى كثير من المواضع بذكر الكلمة دون شرحها ، لشهرتها أو لأن السياق يوضح معناها . ويقتصر فى أحيان أكثر على إيراد اللفظ فى بيت من الشعر ، كأنما لا يريد منه إلا إثبات وروده .